وفي الأشهر الأوَل للمبادرة، اعتقد الأميركيون ان سياستهم في طريقها لانجاز أهدافها حتى وصل بريجنسكي الى القول، في ١٩٧٧/١٢/٢٨: وداعاً يا منظمة التحرير الفلسطينية، واتبعه كارتر، في ١٩٧٧/١٢/٣٠، بتصريح أعلن فيه ان ما تفضله الادارة الأميركية هو قيام كيان فلسطيني مرتبط بالأردن. وفوراً أعلنت كل من مصر وايران موافقتهما على ذلك.

لا بد من العودة قليلاً الى حديث بريجنسكي مع شبكة (س.بي. أس) بتاريخ ١٩٧٨/٥/١٠ لتفهم مرامي التصريحات العلنية المعتدلة على ألسنة المسؤولين الأميركيين في هذه المرحلة.

يقول بريجنسكي: «ان العالم العربي يمر في نهضة سياسية واقتصادية والسؤال المهم.. بصورة مركزية بالنسبة لنا وكذلك بالنسبة للاسرائيليين هو اذا ما كانت هذه النهضة ستتم في اطار اعتدال سياسي وروابط وتعاون وثيقين مع الغرب وكذلك تلاؤم سياسي مع اسرائيل...».

تأطير هذه النهضة ضمن مصالح السياسة الامبريالية وعلى قاعدة عدائية للنفوذ السوفياتي هو الهم الذي يطبع السياسة الأميركية. ولذلك اقترح هنري جاكسون، بتاريخ ١٩٧٨/٥/٢٩، قيام حلف عسكري بين مصر واسرائيل أعلن ان القصد منه حماية السعودية.

كان على السياسة الأميركية ان تقدم تنازلاً شكلياً لا يؤثر على الثوابت الاستراتيجية في سياستها الشرق ــ أوسطية لتوفير امكانية جر طرف آخر غير مصر الى مائدة الحوار العربي ــ الاسرائيلي، لذلك أعلن وزير الخارجية سايروس فانس، في ١٩٧٨/٦/٢٢، في حين كانت تجتاح الحوار المصري ــ الاسرائيلي حرارة غير عادية، عن ان حل مشكلة الضفة الغربية وقطاع غزة يتم بربطهما بالأردن. ولكن رفض اسرائيل القاطع ادى الى ان يسحب فانس اقتراحه بعد أقل من أسبوع ويدلي بتصريح يقول فيه ان هذه الأمور يجب ان تترك للمفاوضات.

ترافق اتفاق كامب ديفيد مع مسألتين بارزتين: الأولى مؤتمر القمة العربي الذي تلاه وأعلن بوضوح عزم العرب قاطبة على معارضة سياسة السادات وبذلك انعدمت امكانية جر طرف عربي آخر الى المائدة واتضح وصول كامب ديفيد الى حائط مسدود.

والثانية سقوط الشاه في ايران واضطرار الولايات المتحدة الى اعادة النظر في مجمل سياستها الشرق أوسطية.

هاتان المسألتان دخلتا على خط موعد الانتخابات الرئاسية؛ حيث بدأت مباراة المرشحين في استقطاب الثقل الصهيوني في الولايات المتحدة الأميركية. فمن جهة كان على كارتر ان يقدم شيئاً يدعم الانجاز الوحيد الذي حققته ادارته في الشرق الأوسط، ألا وهو كامب ديفيد، ولذلك كان لا بد من خطوة باتجاه المعطل لكافة هذه الخطوات: منظمة التحرير الفلسطينية، على ان تحقق هذه الخطوة جر المنظمة الى اطار القبول بالمفاوضات بدون أي التزام أميركي بشيء محدد. فأعلن كارتر، بتاريخ ١٩٧٩/٣/٢٣، في حديث الى مراسل وكالة أنباء الشرق الأوسط، ان ادارته ستبدأ الاتصال فوراً بمنظمة التحرير اذا أعلنت قبولها لقرار مجلس الأمن.

ومن جهة أخرى، كان المرشح الجمهوري، رونالد ريغان، يعتمر قلنسوة يهودية ويعلن في ١٩٨٠/١٠/١٤ أن «منظمة التحرير لا تمثل الفلسطينيين» و«اسرائيل قوية، عون لنا» و«الفلسطينيون يمكن استيعابهم في الأردن». ويتعهد بأنه سيلبي حاجة اسرائيل الى صديق في البيت وسيكون هو هذا الصديق.

لقد خاض ريغان معركته الانتخابية على أساس أنه سينهض بالولايات المتحدة من كبوتها، وتبنى لذلك سياسة هجومية على الصعيد العالمي وخاصة في منطقة الشرق الأوسط؛ إن في تطوير قوات التدخل السريع أم في برامج التسلح أم في السياسة المتبعة مع الأنظمة الحليفة والعدوة. وفي الشرق الأوسط، تركزت اهتماماته حول انجاح عملية كامب ديفيد بشروط حاجات القوة الاسرائيلية ــ الأميركية. وفي هذا الاتجاه أعلن بتاريخ ١٩٨١/٢/٣، خارجاً عن تقليد السياسة الأميركية في ما يخص المستوطنات بأنه «لا يعتبر هذه المستوطنات غير قانونية» مضيفاً الى ذلك بان كل شيء في الشرق الأوسط يبدأ بقبول اسرائيل كدولة.

ولكن كارتر وفورد اللذين انهكتهما سابقاً مشكلة الشرق الأوسط وجربا أكثر من مرة سياسة التعنت هذه، أعلنا، في ١٩٨١/١٠/١١، تأييدهما لاعتراف أميركي بمنظمة التحرير،